البارون هيرش والحركة الصهيونية

فارس المنصوري

البارون موريس ده هيرش (١٨٣١ — ١٨٩٦) هو أحد مشاهير الشخصيات في القرن التاسع عشر . فقد احتل مكانة بالغة الاهمية في كل من التاريخ الاقتصادي للقرن الماضي ، وفي تطور الحركة الصهيونية ، على حد سواء . وذاع صيته في أنحاء العالم كواحد من أغنى رجال عصره وأكثرهم بذخا . كما ان اسمه ارتبط بالفضيحة المالية الكبرى التي اثيرت حول مشروع انشاء شبكة السكك الحديدية في البلقان، ذلك المشروع السيىء الصيت الذي تولى البارون انجازه وحصد من ورائه غناه الفاحش . ثم ان هيرش كان أبرز يهودي في عصره ، وهو الذي توجه تيودور هيرتزل ليقابله ويعرض عليه مشروعه بانشاء دولة يهودية . فقد أنفق هيرش عشرات الملايين من الجنيهات الاسترلينية على مساعدة اليهود وتهجيرهم من أوربا الشرقية لاعادة توطينهم في الارجنتين . ولذا توجت صوره بيوت الآلاف من اليهود الذين حفظوا له جميله. ويتذكر حاييم وايزمن ان صورة البارون كانت تحلي أحد جدران منزل والديه في مدينة منسك الروسية ، وقد علقت بجوار صورة الفيلسوف الاندلسي ميمون . وقد غالى بعض اليهود في اكرام هيرش ، فأطلقوا اسمه الكامل مع لقبه على أبنائهم . فكان الابن يدعى: البارون موريس ده هيرش .. فلان ، مما يسبب الاحراج له طول حياته . وما زال الوقف الذي انشأه هيرش تحت اسم : اليانس اسرائيليت اونيفيرسل* يقوم بدوره في مساعدة اليهود ، وفي ضخ الاموال باسرائيل . ولتخليد ذكراه ، أطلقت السلطات الاسرائيلية اسم البارون على أحد شوارع القدس الجديدة ، وكذلك على شارع في بتاح تكفا . كما ان الجالية اليهودية في نيويورك حرصت على أن يحمل شارع في تلك المدينة اسم البارون الذي نافس معاصره البارون ادمون ده روتشيلد (١٨٤٥ — ١٩٣٥) في تزعم يهود العالم واغداق الاموال عليهم . الا ان هذه الشهرة العريضة كلها لم يصلنا منها اليوم الا الصدى الضعيف ، مما يثير بالغ الاستغراب . فعلى حد علمنا ، لا يوجد الا كتاب واحد فقط وضع عن البارون الشهير ، وهو الذي كتبه الاقتصادي الاسرائيلي كورت غرونفالد ، ونشره في اسرائيل في عام ١٩٦٦ ، أي في الذكرى السبعين لوفاته ، بعنوان «هيرش التركي — دراسة عن البارون موريس ده هيرش، المقاول والمحسن». وفي هذا الكتاب المختصر (١٣٩ صفحة) الذي لا يكاد يشفي غليل الباحث ، لا يترك لنا المؤلف غرونفالد مجالا للشك حول الاسباب الكامنة وراء الغموض الذي يحيط بالبارون الشهير . فهو يعترف صراحة بأن الضباب الذي لف اسم البارون بطياته في هذا العصر الحالي ، لم يكن محض مصادفة ، وانما كان مقصودا ، اذ يذكر في مطلع كتابه الواقعة التالية : في عام ١٩١٠ ، اتصل أحد المؤلفين(١) بالاوصياء على تركة هيرش ، وأبلغهم عزمه على تأليف كتاب عن البارون الراحل ، ملتمسا منهم تزويده بالاوراق والوثائق

---

* Alliance Israélite Universelle.

١ — لا يذكر غرونفالد اسمه ، ولكن لعله الالماني الكونت ايفون كورتي الذي ألف كتابين عن آل روتشيلد.